أصله الجهل أي جهلت شكر الله في معيشتها وقيل بطرت
بمعنى كفرت أي كفرت وجرت معيشتها وهذا تخويف لأهل
مكة من سوء عاقبة بغيهم وبقائهم على كفرهم فاعلموا أن
قوما كانوا حالهم مثل حالكم من إنعام الله عليهم وكثرة
الرزق فقابلوا نعم الله بالبغي والبطر فدمرهم الله تعالى
وخرب بلادهم فلم يسكنها أحد من بعدهم كما قال تعالى
فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا قال ابن عباس
لم يسكنها بعد هلاكهم إلا المسافرون ومن يمر بالطريق فيقيم
بها يوما أو ساعة رأى شؤم معاصيهم على ديارهم فكل من
سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلا وكنا نحن الوارثين
لتلك المساكن من سكانها أي تركناها خرابا لا يسكنها أحد
وسويناها بالأرض وما كان ربك مهلك القرى حتى
يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا قيل المعنى وما كان
عادة ربك أن يهلك القرى في وقت من الأوقات حتى
يبعث في القرية التي هي أمها أي أصلها وأعظمها
رسولا يحذرهم وينذرهم لئلا يكون لهم حجة أو معذرة
وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث قال وما كنا
مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون أي لا نهلكهم مع كونهم ظالمين
إلا بعد بعث الرسل إليهم ولم يجعل علمه بأحوالهم
حجة عليهم فنزه ذاته سبحانه وتعالى عن أن يهلكهم
وهم غير ظالمين كما قال تعالى وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم وأهلها مصلحون فحكمته تعالى منافية للظلم وما
أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها قيل المعنى أي شيء
أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياما

قلائل وهي مدة الحياة المنقضية وما عند الله وهو ثواب
خير لكم وأبقى لأن بقاءه دائم أبدا أفلا تعقلون يقرأ بالياء والتاء
وهو مبالغة في الموعظة أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو
لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من
المحضرين قيل نزلت في علي وحمزة رضي الله عنهما وأبي جهل وقيل نزلت
في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة والمعنى من وعدناه وعدا
حسنا وهو ثواب الله وسمي حسنا لأن منافعه دائمة في وجه
التعظيم ولذلك سمى الله تعالى الجنة بالحسنى وقوله فهو لاقيه مثل
قوله ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا كمن متعناه
متاع الحياة الدنيا أي ليس حال هذا كحال من متعناه في الدنيا
بزخرفها الفاني ثم يكون يوم القيامة من المحضرين أي من الذين
أحضروا إلى النار ومثله فكذبوه فإنهم لمحضرون ويوم يناديهم
فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قيل المعنى اذكر يوم ينادي
الله الإنس فيقول لهم أين شركائي على زعمكم الذين أشركتموهم
معي في الإلهية قال الذين حق عليهم القول وهم الشياطين
وأئمة الكفر ومعنى حق عليهم القول أي وجب عليهم مقتضاه
وثبت وقيل ثبت عليهم الحجة وقيل حق عليهم القول وهو قوله تعالى
لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ربنا هؤلاء الذين أغوينا
أغويناهم كما غوينا قيل المعنى أنهم يقولون ربنا هؤلاء الذين
دعوناهم إلى الغي غووا غيا مثل ما غوينا بمعنى أنا لم نغو إلا
باختيارنا لا أن أحدا أغوانا وأكرهنا على ذلك فهؤلاء كذلك غووا
باختيارهم لا أنا أغويناهم بإكراه وإلجاء فحينئذ لا فرق بين
غينا وغيهم وإن كان تزييننا لهم داعيا لهم إلى الكفر فقد كان

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)